٧ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دماء ودماء :

اتسم طابع الاحتلال البريطاني منذ دخول الانجليز مصر بميل البريطانيين إلى سفك دماء المصريين

ففي دنشواي ١٩٠٦ أعدم المصريون شنقا في وسط قريتهم دنشواي

وفي ١٩١٩ جرت دماء المصريين أنهارا . لماذا ؟ لأن المصريين طالبوا بالغاء الحماية وإعلان استقلالهم

وفي ١٧ ، ١٨ نوفمبر الحالي سفك البريطانيون دماء المصريين في مجزرة الاسماعيلية ، وإليك البيان :

من ١٥ - ٢٢ نوفمبر ١٩٥١ :

في ١٥ نوفمبر افتتح جلالة الملك فاروق ملك مصر والسودان الدورة الثالثة للهيئة النيابية العاشرة ، وألقى رفعة مصطفى النحاس باشا خطاب العرش الذي جاء فيه أن مصر قد ألغت معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ بعد أن ضاقت ذرعا بالمفاوضات مع بريطانيا ، وأن انجلترا بدلا من أن تسلم بالأمر الواقع « آثرت العنف والالتجاء إلى القوة الغاشمة . وقد صممت الحكومة والشعب لهذا العدوان وان تتراجع حكومتي عن خطتها ... ولن تلين لها قناة تحت أي ضغط أو إكراه . »

وقد تفضل جلالة الملك فوجه إلى أعضاء لجنة الاستقبال البرلمانية عند تشرفهم بالمقابلة الملكية النطق الملكي الكريم :

« إن البلاد تمر الآن بمرحلة شبيهة بمرحلة ١٩١٩ ، إن لم تكن أشد منها وأكبر ، وسنجتازها بأذن الله وتوفيقه بسلام وإني لأهنئكم بهذا النضال ، واعلموا أنه بالنضال وحده تنضج الأمم وتصل إلى المستوى اللائق بها

وإني أوصيكم بضم الصفوف ، وتوحيد الجهود ، وأضع يدي في يدكم أفرادا وجماعات ، وأريد كل من يعمل لمصلحة الوطن . إننا نقف صفا واحدا في بيوت الله فلا معنى لأن نتفرق خارجها

وفقكم الله لما فيه الخير ، وأسبغ من رحمته على من استشهد من أبناء الوطن في هذا الكفاح ، والجنة للمستشهدين . »

وهكذا وقفت مصر ملكا وشعبا تناضل في سبيل حريتها وهي لا بد بالغة ما تريد إن شاء الله

وفي يوم الجمعة ١٦ نوفمبر وقف معالي الوطني العظيم الدكتور محمد صلاح الدين باشا يتحدث في الجمعية العامة للأمم المتحدة ففضح سياسة الانجليز في وادي النيل وكشف مفاوراتهم الخبيثة لإطالة احتلالهم لمصر وفصل السودان عن مصر وندد بالوحشية والفظائع التي ارتكبها الانجليز في منطقة القنال ووصفها قائلا إنها « عدوان همجي مخجل من المملكة المتحدة ، وخرق صارخ للسلم العالمي والأمن الدولي ، وامتهان بالغ لمبادئ الميثاق وأهدافه السامية . »

وانتقل إلى الحديث عن السودان وتحدى الانجليز أن يخرج المصريون والانجليز من السودان ثم يجرى فيه استفتاء حر على يد هيئة الأمم المتحدة وأشار إلى مندوبهم كي يقول « اقبلوا هذا التحدي إن كنتم مخلصين . »

وأسقط في يد الانجليز فحاولوا منعه من الكلام فلم يستطيعوا كما لم يستطيعوا على بيانه تعقيبا

وفي يوم السبت ١٧ نوفمبر جاء الرد الانجليزي على مصر ووزير خارجيتها : ففي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم انتشرت فجأة عدة دوريات مسلحة في مختلف أرجاء مدينة الاسماعيلية ثم بدأت تطلق نيرانها في وقت واحد فقلبت أمن المدينة جحيما مستعر النيران ؛ ولم يميز الانجليز في هذا بين المدنيين وبين رجال البوليس فسقط من الشهداء كثيرون

وفى يوم الأحد ١٨ نوفمبر عاود الأنجليز هجومهم الوحشى على المدينة وبالغوا فى إجرامهم إلى أبعد مدى يستطيع العقل البشرى أن يتصور فظاعته ، فقد ظلوا يطلقون النيران على المدينة من الساعة الثالثة مساء حتى الساعة العاشرة

وفى هذه الجزرة استشهد عشر مواطنين : خمس من المدنيين وخمس من الجنود وجرح سبعة وعشرون

وقد فقد الانجليز ضابطين وسبعة جنود وجرح أكثر من ثلاثين جنديا . ولكن أكثر من هذا : لقد اشتركت مدمرة بريطانية فى ضرب الاسماعيلية وشاء ربك أن تسقط القنابل فى معسكر انجليزى وتفتك بجنوده. ويشكم الانجليز أنباء عدد القتلى منهم ولكن فى كل يوم يستر على جثث طافية لهم فى ترعة الاسماعيلية وفى بحيرة التمساح

وفى مساء الاثنين ١٩ نوفمبر وقف إيدن وزير خارجية بريطانيا يتحدث فى مجلس العموم البريطانى فقال « إن القومية العدوانية أو التعصب الدينى أو الاثنين معا حاولا إثارة الحقد والكراهية والبغضاء بين فريقين كان ينبغى أن يكونا صديقين. نعم ينبغى أن تكون مصر صديقة لبريطانيا لأن بريطانيا تقتل كل يوم من المصريين من تستطيع وتهتك أعراض المصريين وتسلب أموالهم وحرياتهم وتعتدى على استقلالهم ووحدتهم . هذا هو منطق الانجليز !! وقال « إن بريطانيا على استعداد الآن لإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ والاستعاضة عنها باتفاق مع الدول الأخرى لحماية قناة السويس. وكأنه يريد أن يقول إن سبع سنوات من المفاوضات لم تكن كافية لتعديل معاهدة ٣٦ البائدة ويزيد فيريد أن يفرض حماية دولية على قناة السويس مع أن مصر قد ضاقت ذرعا بانجلترا وحدها

وقال « إذا أريد نجاح أية محادثات بين مصر وبريطانيا يجب الكف عن النشاط الإرهابى الموجه ضدنا فى منطقة القناة . فالموقف هناك لا شك خطير . » وكأنى به يريد أن يقول إن تبعة مجزرة الاسماعيلية تقع على عاتق المصريين إذ هى رد على اعتداءات الفدائيين. لا يامستر إيدن! إنها رد على صلاح الدين . ولكن اعلم أن مصر قد وقفت تناضل عن حريتها، ولن تضعف مهما ارتكبتم من إثم أو اقترفتم من جرم . إننا لا نريد احتلالا فاخرجوا من ديارنا وكفى

ووقف مستر موريسون وزير خارجية انجلترا السابق يؤيد إيدن ، انجليزى يؤيد انجليزيا ! أمر معروف ولن نعبأ بإيدن أو بموريسون

ويختتم إيدن حديثه طالبا أن تعود ألمانيا وإيطاليا من جديد وأن تصبحا عضوين فى هيئة الأمم . هذا هو جزاء الانجليز للاعداء . أما مصر الصديقة فيقتل أبناؤها جزاء لها على صداقتها !

وإنى أحب أن أبعث بالتحية إلى الفدائيين من إخواننا فقد أقلقوا مضاجع الانجليز بأعمالهم الجريئة ، وبشجاعتهم وحسن حيلهم من استخدام القطط المشتعلة إلى إطلاق الثعابين والإفاعى

وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ قدم الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران وبطل تحريرها إلى مصر فاستقبلته مصر استقبالا حماسيا رائعا . ولا عجب فمصر شقيقة إيران وكلتاهما تناضل العدو المشترك بريطانيا

مارس ١٩١٩ :

رأينا كيف بدأت الثورة المصرية ثورة سلمية هدفها إلغاء الحماية وإعلان الاستقلال ، ولكن الإنجليز أبوا على المصريين حقهم المشروع فى الحرية والاستقلال وانطلقت قواتهم الغاشمة تعتدى على العزل الأبرياء وتسفك دماء الشهداء ، دون ذنب إلا إخلاصهم لوطنهم . وبلغ الجنون بالإنجليز أقصاه فانطلقوا يطلقون الرصاص على المصلين وهم خارجون من المسجد الحسينى بعد قضاء صلاة يوم الجمعة ١٤ مارس . وقد حسبوا أن تجمع المصلين مظاهرة ، ولكنهم فى عدوانهم هذا لم يميزوا أيضا بين رجل وامرأة فقتلوا بعض النساء

اضراب المحامين :

فى ١١ مارس أضرب المحامون عن العمل احتجاجا على

موقف انجلترا من مصر ومنعها للوفد من السفر والتجائها إلى سياسة الإرهاب والشدة إزاء المصريين وقبضها على زعماء مصر وطلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين

وقد وافق مجلس نقابة المحامين على قرار الإضراب ونفذ المحامون القرار فى ١١ مارس ، وكان لهـذا القرار أثر كبير فى نجاح الثورة « فقـد كان بمثابة دعوة عمليه إلى طوائف الشعب للاضراب العام . »

وفى ١٥ مارس انضم المحامون الشرعيون إلى زملائهم وقرروا الإضراب أيضا. وقداقتحم المتظاهرون المحـكمة الشرعية العليا وطلبوا إلى رئيسها أن يسير على رأس مظاهرتهم فقبل . وركب عربة جاء بها المتظاهرون، ولـكن البوليس هاجم المتظاهرين وأصيب منهم اثنا عشر غلاما فى أرجلهم .

وفى هـذا اليوم أيضا أضرب عمال عنابر السكة الحديد ببولاق ، وألقوا مظاهرة تأييدا للطلبة فوقفت حركة السكة الحديدية

وقد اضطرت الحـكومة إزاء هـذه الإضرابات أن تنشر جنودها فى جميع أحيـاء القاهرة واضطرت إلى احتلال محطة القاهرة والعنابر والورش بحى السبتية

محاكم عسكرية :

أنشأت السلطة محاكم عسكرية فى القاهرة أولا ثم فى الأقاليم لسرعة البت فى قضايا المظاهرات والمتظاهرين . وقد قضت هـذه المحاكم بأحكام مختلفة على كثير من المتظاهرين وكان من بين أحكامها : الحـكم على حسن عبد الباقى النمرجى بجنيه غرامة أو السجن أحد عشر يوما لأنه مزق منشورا للسلطة العسكرية !

مظاهرة السيدات :

أبت المرأة المصرية أن تترك الرجل المصرى ينفرد بشرف الجهاد ، ولهذا الغرض اجتمع عدد كبير من فضليات السيدات والآنسات فى يوم الأحد ١٦ مارس وخرجن فى مظاهرة كبرى سارت فى شوارع العاصمة تنادى بالحرية والاستقلال لمصر ، وبسقوط الحماية والظلم والاستبداد ، والاحتجاج على ما أصاب الأبرياء من القتل والتعذيب

وقد أخذت المتظاهرات يطفن فى حشمة ووقار بدور ممثلى الدول الأجانب ويقدمن إليهم منشورا :

« جناب الممثل :

يرفع هـذا لجنابكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية ، يحتججن على الأعمال الوحشية التى قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة لا لذنب ارتكبته سوى المطالبة بحرية البلاد واستقلالها تطبيقا للمبادئ التى قام بهـا الدكتور ولسن وقبلتها جميع الدول محاربة كانت أو محايدة

نتقدم لجنابكم هذا ونرجو أن ترفعوه لدولتكم المبجلة لأنهـا أخذت على عاتقها تنفيذ المبادئ المذكورة والعمل عليها، ونرجوكم إبلاغها ما رأيتموه وما شاهده رجالكم المحترمون من أعمال الوحشية وإطلاق الرصاص على الأبنـاء والأطفال والأولاد والرجال العزل من السلاح لمجرد احتجاجهم بطريق المظاهرات السلمية على منع المصريين من السفر للخارج لعرض قضيتهم على مؤتمر السلام أسوة بباقى الأمم وتنفيذا للمبادئ التى اتخذت أساسا للصلح العام ، ولأنهم يحتجون أيضا على اعتقال بعض رجالهم وتسفيرهم إلى جزيرة مالطة

لنا الأمل يا جناب الممثل أن يحل طلبنا هذا نحن السيدات المصريات محل القبول ولا زلنا عونا لنصرة الحق مؤيدين لمبادئ الحرية والسلام . »

وقد أثار منظر السيدات والآنسات فى المظاهرة الحماسة فى النفوس ووقفت الناس على جوانب الطرق يحيون المتظاهرات وشاركتهن زميلاتهن بالزغاريد من داخل المنازل فأحفظ ذلك الإنجليز وأخذوا يتعرضون لهؤلاء السيدات. وحينما وصل الموكب

إلى شارع سعد زغلول ووجهته « بيت الأمة » ضرب الإنجليز نطاقا حول المتظاهرات ومنعوهن من مواصلة السير وصوبوا بنادقهم نحو صدورهن ، ومع هذا فإن المتظاهرات لم يرهبن التهديد وتقدمت إحداهن وقالت للجندى شهر عليها بندقيته : « نحن لا نهاب الموت ، أطلق بندقيتك فى صدرى لتجعلوا فى مصر مس كافل (١) ثانية . »

قالت هذه العبارة بالفرنسية ففهمها الضابط فخجل وتنحى لهن عن الطريق بعد أن وقفن فى حرارة الشمس أكثر من ساعتين

وقد كتب المتظاهرات احتجاجا ثانيا على هذه المعاملة ورفعوه مع الاحتجاج الأول إلى معتمدى الدول الأجنبية . ولقد كان منظر الجند المدججين بالسلاح وهم يتعرضون للسيدات الكرام مدعاة إلى احتقارهم

وقد حيا شاعر النيل حافظ بك ابرهيم مظاهرة السيدات فى قصيدة رائعة :

خرج النوافي يحتججـــن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تخذن من سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب يسطعن فى وسط الدجنه
وأخذن يجتزن الطريق ودار سعد قصدهنه
يمشين فى كنف الوقا ر وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبل والخيل مطلقة الأعنه
وإذا الجنود سيوفها قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنا دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقا حولهنه
والورد والريحان فى ذاك النهار سلاحهنه
فتطاعن الجيشان سا عات تشيب لهـا الأجنه
فتضعضع النسوان والنسوان ليس لهن منه
ثم انهزمن مشتات الشمـــل نحو قصورهنه

* * *

فليهنأ الجيش الفخو ر بنصره وبكسرهنه
فكأنما الألمان قد لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا بهندنبرج مختـــفيا بمصر يقودهنه
فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه

أبو الفتوح عطيفة

(١) ممرضة انجليزية أسرها الألمان وأعدموها وكان لقتلها ضجة كبيرة فى العالم

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع إحدى عشر مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد